

مجلة أنثروبولوجية (الأوبان) المجلد 19 العدد 01 2023/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

طوبونيمية مدن الشرق الجزائري ودور الأولياء في تحديد جغرافيتها خلال الفترة العثمانية

**The toponimic of Algerian eastern cities and the role of marabouts in fixing its geography during the Othmanic state.**

هواري رضوان\*

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس - الجزائر

redhouari26@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/10 تاريخ القبول: 2022/03/07

ملخص:

عرف المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية بظاهرة الأولياء والصلحاء، والتي نالت نصيبا كبيرا من معتقداته الشعبية، لأنها لعبت دورا مهما في تشكيل ورسم التاريخ السياسي، والديني والاجتماعي، والثقافي له. ومن هذا المنطلق فإن بحثنا هذا كان الهدف منه إبراز الأبعاد الاجتماعية والسلوكية والتي يمكن أن نسميها البيئة الأنثروبولوجية الحاضرة لظاهرة الأولياء الصالحين وذلك من حيث مساهمتها في رسم المعالم العمرانية للعديد من المدن في بالك الشرق الجزائري خلال الفترة العثمانية. وبناء على ذلك توصلنا إلى تبيان العلاقة الوطيدة بين الأولياء، والتصوف، والقبيلة والمدينة الجزائرية خلال فترة العثمانية.

الكلمات الدالة: التصوف، الأولياء الصالحين، النسب الشريف، المدينة، الفترة العثمانية.

#### Abstract:

Algerian society as the rest of arab nations noticed heavily the presence of the marabouts who have played a significant role in the beliefs of people, because they have reformed the social, the historical, and the cultural identity of the society. Therefore, the aim of the current research is highlighting the entropological role of the marabouts designing the eastern cities in Algeria. the results of the study reflects the strong relationship between the marabouts, sufism, ethnic groups and algerian cities during the Othmanic state.

**Keywords:** sufism, marabouts, sharif's lineage, city, Ottoman Period.

---

\*المؤلف المرسل: رضوان هواري، الايميل: redhouari26@gmail.com

مقدمة:

ترتبط أسماء المدن بعلم الطوبونيميا (Toponymie) كونه العلم الذي يهتم بدراسة أصول الأسماء والأماكن والذي يعد من بين الفروع الأساسية في اللسانيات كما أنه علم أصول الكلمات وأشكالها. وهي بذلك تعنى بالتسميات الجغرافية للأماكن أما مفهومها الضيق الذي أصبح متداولاً فهو دراسة أسماء الأماكن والمدن والمناطق المأهولة. وإضافة إلى ذلك فقد عرفها لنا ألبار دوزا (Albert) Dauzat على أن الطوبونيميا هو علم من العلوم التي تدرس المواقع بشتى أصنافها مثل أسماء المدن، والقرى، البدان، الأنهار، الجبال... إلخ (Dauzat, 1963, p. 03) أما الظاهرة التي نحن بصدد الإشارة إليها فهي اقتران أسماء المدن بأسماء الأولياء و الصلحاء نتيجة المكانة التي حضي بها هؤلاء في المعتقدات الشعبية للمجتمعات الإسلامية أو ما اصطلح عليه بالمخيال الشعبي، كونهم من المتصوفة، ونظراً لانتشار التصوف في العالم الإسلامي، فقد ساد الاعتقاد بأن كل مدينة لها من الأولياء من يجرسها من الشرور والبلايا .

لقد وجدنا أنفسنا أمام البعد الأسطوري لمناب الوالي الصالح أو المرابط أو الصوفي التي يحملها المخيال الشعبي وما رافقه من تحولات فكرية نتيجة انتشار التصوف الولائي في المجتمع الجزائري انطلاقاً من القبيلة باعتبارها النواة الأولى للمجمعات السكنية الحالية، فحاولنا أن نسلط الضوء على هذه الظاهرة التي شملت كل أنحاء الجزائر وغيرها من بلاد المغرب. فقد أسس هؤلاء الأولياء هوية جغرافية وحضارية محلية تستمر إلى وقتنا الحالي .

تعتبر هذه الظاهرة أحد أهم وأبرز ملامح المجتمع الجزائري وخاصة في الفترة العثمانية، حيث أنها تبين مدى العلاقة الموجودة بين الإنسان ومحيطه المكاني من تفاعل سوسيو ثقافي. وغالبا ما كان المجتمع الجزائري يلتفت حول الولي (سعد الله، 2007، صفحة 10) الذي كان له ضريح في المكان الذي سيلتفت حوله السكان حيث أصبح هناك ارتباط بين الأولياء والظاهرة العمرانية، سواء التأسيس أو إعادة التأسيس (عبد القادر بلعربي، 2015، صفحة 8)

من هذا المنطلق حاولنا البحث في هذه الظاهرة العمرانية وبداياتها عن طريق طرح مجموعة من التساؤلات

وهي :

- ماهي المكانة التي احتلها الأولياء في الجزائر ؟
- كيف كان لهم دور في التطور العمراني لعدة مناطق في الجزائر ؟

- هل كان للأولياء دور في تأسيس التجمعات السكانية في بايلك الشرق خلال الفترة العثمانية ؟  
للإجابة على هذه التساؤلات ولطبيعة الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي ومنهج المسح الاجتماعي بسبب طبيعة  
الدراسة .

### 1. المقدس عند الأولياء ومكانتهم في رسم جغرافية المدن :

لقد أكد دوركاهم على أن المقدس هو نتاج فكر ووعي جماعي للأفراد وضع في خارج المؤلف والطبيعي حيث ملك صفة القدسية والرمزية في آن واحد ، ومن هذا المنطلق كان الشأن نفسه في موروثنا الثقافي بشقيه المادي واللامادي وعلى مدار عشرات السنين وقبل مجيء العثمانيين إلى الجزائر حيث انتشرت ظاهرة تقديس الأولياء (Devoux,A, 1870, p. 122)و التي ارتبطت هي الأخرى بموضوع القبيلة والخضوع لسلطة شيخ القبيلة و الذي في الغالب سيتحول ضريحه إلى مزار من طرف السكان. (سراج جيلالي، 2015، صفحة 16)،وقد ذكر ادمون دوتي بأن وجود الأولياء الصالحين الأحياء والأموات وشيوخ الطرق الصوفية والمرابطين، وحتى الأئمة والخطباء كان ضروريا للأهالي حيث كانوا يلجئون إليهم في أمورهم الدنيوية والدينية على حد سواء (Douté, E, 1900, p. 23) وقد أشار الى ذلك حمدان خوجة إذ قال : "كانوا يعلمون الناس الأخلاق ، ويفسرونها قدر المستطاع كما كانوا يعلمونهم الصلاة ويهدونهم إلى مكارم الأخلاق .ومقابل ذلك يجنون الطاعة المطلقة ، ويعتقد السكان أن دعائهم مقبول عند الله ..."  
(خوجة، 1982، صفحة 57) وعلى هذا الأساس سميت الكثير من المدن الجزائرية على أسماء الأولياء . ولهذا كان حضور واستقرار هؤلاء الأولياء في هذه المناطق أساسيا على حواشي القبائل أو مناطق العبور للقوافل التجارية أو طرق الحج أو بعض المحطات التجارية التي ترجع لفترات قديمة.

هذا الاستقرار لهذه الفئة في هذه المناطق الإستراتيجية وبعد جهد منهم يتوهم الناس أنهم حضروا بفعل العناية الإلهية وأنهم أصحاب كرامات وبركة (محمد،دحماني، 2006، صفحة 16) ،والبركة كما هي قوة إلهية خفية يمنحها الله لمن اختاره من عباده وقربه إليه، إما عن طريق الولاية وإما عن طريق الانتساب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،فهو أقرب الناس إليه وبركته لا تعادلها بركة . فالصالح الشريف تفيض على يديه البركات ويصبح الشافي من الأمراض ، ومذهب القحوط وجالب الخير والنماء وفي الوقت نفسه جالبا للنقمة حينما يقتضي الأمر الانتقام من ظالم ، إذ لاشيء يصير مستحيلا في نظام البركة. (محمد المنصور، 1989، الصفحات 1182-1183) .

ساهمت هذه الظاهرة في ارتباط أغلبية المدن بالأولياء ، وأصبح من النادر أن تجد مدينة بلا ولي يزوره الناس ويتقربون من الله بشفاعته وبركة ذلك الولي ، ولا تكاد تخلو أي قرية ولا حي من المدن الكبرى من قباب هؤلاء الأولياء .

لقد تحولت كل تلك الأضرحة والقباب التي بنيت لهذه الفئة إلى نواة للتجمعات السكانية ، فتبنى حولها أماكن العبادة وسرعان ما تحاط بالأسواق والمسكن العامرة لتتحول إلى مدن مترامية الأطراف (خليفة، د.س، صفحة 33) . أما التحاق الناس بهذه البلدات الناشئة فكان لعدة أسباب .

أ- أسباب سياسية : كانت الأسباب السياسية أحد العوامل التي أدت إلى نزوح العديد من الأهالي إلى هذه المدن الناشئة خوفا من سلسلة الحروب التي كانت تعصف بالقبائل فيما بينها أو السلطة الحاكمة والقبائل المعارضة التي تمتنع عن دفع المكوس أو الضرائب لأن السياسة الضريبية كانت مجحفة في كثير من الأحيان بشكل عام ، كما كانت ملجأ للغرباء وعابري السبيل، وحتى الفارين من العدالة أحيانا لأنها لطالما تمتعت بالحرمة والهيبة بحيث يصعب فيها اللجوء لاستعمال القوة والعنف في تنفيذ حكم ما، أو إجبار شخص غريب على المغادرة وخلاف ذلك. كما ارتبط الأمر بطهارة وقداسة المكان في نظر الزوار وإيمانهم بقدرة الولي صاحب الضريح على القصاص والانتقام من أي ظالم (Devoulx, 1863, p. 181)، ونذكر من ذلك مثلا هروب المزوار الحاج سعدي سنة 1829م وطلبه النجاة من غضب الداوي حسين، واختبائه بضريح الثعالبي (سعد الله، أبو القاسم، صفحة 271):

استمر هذا المعتقد ببركة الولي الصالح وتزايد بشكل كبير في كل مناحي الحياة اليومية حتى أن الكثير من ميسوري الحال أوقفوا ممتلكاتهم لصالح هؤلاء الأولياء ، فقد جاء في وقفية الحاج علي بن ناصح سنة 1809 م الجملة التالية : " يرجع ذلك وقفا على ضريح الولي الصالح القطب الرباني سيدي عبد الرحمان الثعالبي نفعنا الله به آمين ... " (ياسين، بودريعة، 2013، صفحة 370).

لقد استمرت هذه المظاهر وخاصة عند تعرض بعض المدن الجزائرية للهجمات الأوروبية معتقدين في بركة الولي في حماية المدينة من تلك الهجمات، وأشهر مثال على ذلك ماعرفته مدينة الجزائر عند تعرضها لهجمات الأسطول الدنماركي سنة 1771 م والذي فشل في السيطرة على المدينة وكذا هجوم شارلكان على الجزائر سنة 948 هـ / 1541 م الذي عاد خائبا إلى بلاده بعد أن تحول أسطوله إلى أشلاء. فنجاة تلك المدن في المخيال الشعبي كان لها علاقة ببركة الأولياء الصالحين .

من خلال ما ذكر فإن العوامل السياسية كان لها دور في التفاف الأهالي حول الأولياء أو الأضرحة التي بنيت لهم وأقيمت حولها المدن .

#### ب-أسباب اجتماعية واقتصادية:

بما أن المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني كان يغلب عليه الطابع الزراعي الرعوي فمعظم القبائل كانت تعتمد على المراعي خاصة في المناطق الجبلية والأحراش من جهة، أما الطابع الزراعي فقد كان في المناطق السهلية . و نتيجة لهذا النمط المعيشي كانت تثار الكثير من المشاكل والصعوبات حول وسائل الإنتاج من ماء ومراعي وأراضي زراعية بين القبائل المستقرة بالجبال والمستقرة في المناطق السهلية . فكانت هذه الخلافات والمشاجرات التي تحدث بين القبائل والدواوير سببا في تدخل السلطة التركية العثمانية وذلك بتوفير عددا من القواد والمرابطين لضبط الأمور ومنعها من التفاقم (بلبروات بن عتو، 2008، صفحة 283) . وفي ظل تفاقم وتزايد الضرائب الذي لجأت إليه السلطة التركية العثمانية في الجزائر، والذي انعكس بدوره سلبا على مجموع القبائل التي كانت في الأرياف ، فإن الأولياء أو المرابطين الذين التفت عليهم جموع القبائل سيتحولون لمركز جذب كبير مكونين المدن التي تضاعفت ساكنتها في تلك الفترة وهو ما يصطلح عليه اليوم بالنزوح الريفي (وليام، 1982، صفحة 59).

نتيجة لهذه الأوضاع التي كانت عليها الجزائر فقد لجأت السلطة العثمانية في الجزائر إلى الاعتماد على سلطة المرابطين والصلحاء في مهادنة الجانب الشعبي لها ، وإبقاء الاتصال بهم مع تقديم الضمانات والامتيازات وإظهار الاحترام ، وتجنب أي ضرر اتجه الأضرحة ، والزوايا . (Nacer-Eddine, 2001, p. 396) فقد مثل الوالي الصالح أو المرابط السلطة الروحية، والتي كانت إحدى الطرق الإدارية التي حكمت بها الجزائريين . حيث استعانت بهم السلطة الحاكمة عند الضرورة القصوى كمنشوب الثورات أو امتناع الأهالي عن دفع الضرائب ( رشيدة شدرى، معمر، 2006، صفحة 29) .

لقد استمر حكم العثمانيين على هذا المنوال في الجزائر وعلى الرغم من ذلك فإن العلاقة لم تكن على نفس الخط ، إذ تخللها في العديد من السنوات الفتور حتى وصل الأمر إلى مواجهة العلماء والمرابطين و ذلك باستخدام أعنف الوسائل ضدهم ، خصوصا لما أعلنوا العداء للسلطة المركزية التي تمادت في قهر الرعية من أتوات وضرائب لم يطبقها الأهالي .

لقد ساهمت الامتيازات التي قدمتها السلطة المركزية لفئة المرابطين في ادعاء الكثير منهم بالولاية فكثر بدخولهم هذا المجال مظاهر الشعوذة و انتشار الخرافات ، وادعاء الكرامات والخوارق حتى بلغ الأمر درجة كبيرة من الانحطاط الفكري والخلقي وتجاوز لحدود الشرع ، وهذا ما دفع العديد من العلماء إلى مواجهة هذا التيار في مؤلفاتهم مثل " عبد الكريم بن الفكون" في منشور الهداية (المهدي البوعبدلي، 1977، الصفحات 14-32) و" الورتلاني" في رحلته التي أشارت إلى الجو الصوفي مع وصف التفكك الاجتماعي الذي كان سائدا في تلك الفترة من الحكم العثماني الذي وإن كان حاضرا على مستوى عدد من المدن الساحلية فإنه لم يمتد كثيرا إلى المناطق الداخلية التي كانت تحظى ببعض الاستقلالية و تعتمد عن نظام العشيرة وتأثير الزوايا الروحي خاصة عليها من خلال انتسابها لبعض الأولياء الصالحين .

كل ذلك حوّل المدن التي نشأت بسبب استقرار الولي فيها أو لوجود الضريح بها وما يحمله من دلالات البركة بهذا المكان، إلى محطة للنازحين من الأرياف، لجملة من الأسباب الاجتماعية والاقتصادية الهدف منها هو البحث عن حياة أحسن . وقد انتشرت مقولة " من جاور الولي فهو في مأمن ولا بد أن يناله قسط من بركاته " (عبد القادر خليفي ، صفحة 33) .

#### ج - أسباب ثقافية :

لم يكن الجانب الثقافي مختلفا عن جملة الأسباب الاجتماعية والاقتصادية، وإنما هو صورة تعكس الوضع العام للجزائر خلال هذه الفترة . فبالرغم من الاهتمامات الحربية للعثمانيين في الجزائر إلا أنهم لم يهملوا الجانب الثقافي ، وذلك في إطار استمالة العلماء والتقرب منهم من خلال بنائهم للعديد من الزوايا والمساجد والمدارس والأوقاف في معظم المدن وحتى القرى ، من خلال تأمين الموارد لصيانتها والإنفاق عليها .

لقد تكرر هذا المشهد في جميع البايلاكات ونأخذ على سبيل المثال ما قام به الباي حسين عام 1807 م حيث أخذ نذرا على نفسه تعهد فيه ببناء دار الولي سيدي علي، ودار سيدي محمد بن سيدي سعيد واصلاح مسجده ، وذلك قصد ضمان تاييد السكان له في حملاته على الجهات الشرقية لبايلك الشرق قسنطينة (،سعيدوني، 1981، صفحة 59)، والأمثلة كثيرة في هذا الشأن حيث لجأ معظم الحكام العثمانيين في الجزائر إلى تقوية الرابطة الدينية مع الأهالي إما تقوى وورعا أو من أجل الخلود والذكر الحسن (أبو القاسم سعد الله، صفحة 233) .

2- قدااسة الفضاء الجغرافي للولي ودلالة تسمية المدن في بايلك الشرق :

أجمع الباحثون في مجال الأنثروبولوجيا الدينية ام ظاهرة التقديس لم تقتصر على الأفراد بل تعدتها حتى للفضاء الجغرافي ( المكان )الذي اصبح مطبوعا بالظاهرة التقديس والتي هي في الأساس ترجع إلى قدااسة صاحب المكان ( اسعد فايزة زرهوني و بلحضري بلوفة، 2018، الصفحات 506-507)، إذ نجد أن أهل قسنطينة قد حفظوا ذاكرة أوليائهم وأعلامهم في معالمهم العمرانية، فقد منحت العديد من أسماء هؤلاء إلى الزوايا والمساجد والشوارع وحتى المناطق التي عاشوا فيها ، هذا ما نجد دلالاته في عقود الأوقاف (فاطمة الزهراء قشي، 2003، الصفحات 19-20).

إن المتمعن في العلاقة الموجودة بين الأعلام بشكل عام ، سواء كانوا علماء أو أولياء صالحين وتحديد جغرافية المناطق ، يأخذنا للحديث عن الموروث الأنوماستيكي ( دراسة أسماء الأعلام ) في الجزائر عامة ولا يقتصر الأمر على منطقة منها فقط لأن هذه الظاهرة كانت منتشرة عبر ربوع الجزائر قاطبة .وسنسوق بعض المثلة عن ذلك في بايلك الشرق .

❖ سيدي أمطير مؤسس بلدة أولاد جلال القديمة :

لقد أسس الولي سيدي أمطير زاويته على الضفة الجنوبية لواد جدي (على بعد 22 كلم من بسكرة في اتجاه توقرت بالجزائر) ، والتي سرعان ما تحيط بها المدينة القديمة لأولاد جلال ، أما المدينة الجديدة فسيعاد تأسيسها من طرف أحد تلامذته وهو سيدي أحمد بن سالم ، والذي شرع في بناء دار الضيوف في الضفة الشمالية للوادي .وكان ذلك بطلب من الولي سيدي أمطير ،بالإضافة إلى طلب الولي سيدي عيسى بن أحمد حيث منع فيضان الوادي هذا الأخير من ضيافة سيدي أمطير والعبور إليه ، فكانت النواة الأولى لبناء المدينة الحالية والتي بنيت على أنقاض المدينة القديمة التي أسسها الشيخ أمطير (،قشوان، 2018، صفحة 286) .

من خلال ذلك نلاحظ أن الولي لعب دورا محوريا في عملية التأسيس العمراني للعديد من الحواضر ( المدن أو الأرياف ) ، مرفوقة بالوظيفة الاجتماعية والمتمثلة في رعاية الفقراء والأيتام والأرامل وحتى عابري السبيل .

❖ الأميرة الأرملة تقرت وتأسيس مدينة تقرت :

تعرضت هذه الأخيرة إلى النفي من قبل أهالي غمرة رعايا زوجها سلطان غمرة المتوفى ، بالإضافة إلى طردها من طرف أعالي بلدة الشماس الواقعة إلى الجنوب من توقرت الحالية ، حيث دعا لها الولي الصالح سيدي بوجملين بالمسيلة ، وقد استقرت في تلك المنطقة التي هي عامرة اليوم بالسكان إلى غاية وفاتها بعد أن أصبحت تلك المنطقة مقرا للعديد من الأهالي ، ونتيجة لعدم تركها لمن يرثها ، بدأت فترة حكم أسرة الشيخ بن جلاب الذي سيؤسس حكم بني جلاب في المنطقة (بوزيدة، 2003، صفحة 79).

❖ الشيخ المبارك بلقاسم بن ناجي وتأسيس خنقة سيدي ناجي :

تنسب هذه البلدة إلى الشيخ المبارك بن ناجي الحسني الإدريسي ( شرق ولاية بسكرة) وقد اختطها ما بين القرن 10-11 هـ / 15-16 م (العقي، 2002، صفحة 759) ، يذكر بأن أصولهم تعود إلى الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أما أجداده فقد خرجوا من غرناطة بعد سقوطها سنة 1492 م ، ليتوغلوا في بلاد المغرب الأوسط وبعد ذلك استقر بهم المقام في تونس ، حيث عاش سيدي ناجي وحفيده سيدي قاسم إلى غاية وفاتها ، ليرحل بعدها خليفتهما سيدي مبارك إلى ورقلة مع جمع من الأتباع متجها إلى منطقة الزاب الشرقي والتي سيصبح تسمى بالخنقة (الورتيلاني، 1908، صفحة 117)

لقد رأى الشيخ سيدي مبارك بن قاسم مناما جعله يقصد هذه المنطقة التي كانت مورد الأنعام فأسس بها سنة 1010هـ/1602 م زاوية للصلاة وتعليم مختلف العلوم ، فأصبحت هي اللبنة الأولى للمدينة فأما الطلاب من كل النواحي حتى أصبحت تدعى بالمدرسة الناصرية (قدوح، 2019، الصفحات 122-123).

لقد استوطنت حوالي خمسة قبائل وهي التي قدمت مع الشيخ سيدي مبارك وكانت على النحو التالي : صدراتة، زهانة، هزابرة، دريد، زناتة، روفة ، ونهد (مقدوح، 2019، صفحة 122). وقد أنشئت العديد من الأحياء بها وكان منها حي عرف بحارة الجبس خصص لطلبة العلم الذين لا مأوى لهم (مقدوح، صفحة 123)، وسرعان ما عمرت هذه المدينة بالسكان والمنشآت الضرورية لحياة الساكنة كشق القنوات، وتوسعة المسجد وبناء الأبراج قصد حماية المدينة من الهجمات المعادية - (Mercier, 1915, pp. 154-158) .

❖ سيدي عبد الرحمان وقلعة بني عباس :

ترجع العديد من الدراسات إلى أن قلعة بني عباس (جنوب ولاية بجاية الجزائرية) أسست من طرف المقرانيين (مليكة، 2015، صفحة 148) والذين ينحدرون من الأشراف (الورتيلاني، 1908، صفحة 36) وقد استقروا ببجاية (ابن خلدون، 1969، الصفحات 255-296)، حيث ذاع صيتهم . كما أن هذه الأسرة قد برزت على مسرح الأحداث في ظل التجاذبات وتسارع الأحداث خاصة في بلاد القبائل (نبيل، 2013، صفحة 56)، حيث ظهرت تمردات على السلطة العثمانية في البلاد آنذاك وساد الصراع بين القبائل في حد ذاتها خاصة مع امارة كوكو (Rinn, 1891, p. 10)، و صاحبها ابن القاضي ، فما كان من الأمير عبد الرحمان (نبيل، 2013، p. 60)، إلا أنه أشار على بني عباس ببناء القلعة والتي ستتحول إلى مقر حكمه (Charles Feraud, 2011, p. 200)، وأصبح بذلك الشيخ عبد الرحمان هو مخلص بني عباس .

لقد بقيت القلعة بحكم موقعها الحصين ملاذا للمضطهدين في المنطقة حيث استمر الحكم في القلعة مرتكزا على الزعامة الروحية والولاء الشعبي لها بالرغم من استمرار الحروب في المنطقة وخاصة مع السلطة المركزية العثمانية في الجزائر التي تحالفت مع القوى المحلية لمحاربة القلعة وسكانها، وقد ازدادت قوة القلعة بعد الغزو الاسباني لمدينة بجاية حيث تحالفت مع الأتراك قصد طردهم منها كونها كانت أحد القوى البارزة في المنطقة خلال القرن السادس عشر ميلادي، ولكن بالرغم من ذلك خضعت للأتراك مع حلول سنة 1601 مثلت قلعة بني عباس أحد النماذج الحقيقية لالتفاف الأهالي حول الشيخ عبد الرحمان لخصوصيات هذا الأخير انطلاقا من نسبه وكونه هو المخلص لبني عباس من ظلم وجور الإمارة المجاورة وحتى من السلطة المركزية التي مثلها الأتراك في الجزائر . فكان هذا الاعتقاد السائد لدى الأهالي في هذه الشخصية كونها تلي وتشبع حاجيات الأهالي ..

الخاتمة :

مثلت النماذج التي سقناها مثلا لظهور تركيبة اجتماعية دينية لم تكن معروفة قبل القرن الرابع عشر ميلادي ، والتي جسدت واقعا صريحا لثنائية متمثلة في العصبية القبلية والدعوة ، والتي كان نواتها المركزية شيخ صوفي شريف أو منتسب للشرف ، حيث جمع حوله مريدين آمنوا بما دعا إليه ولا تجمعهم العصبية بقدر ما يجمعهم الانتماء الروحي متمثلا في الشيخ المرابط أو الولي الصالح ذو الكرامات ، وقد توسعت التجمعات

البشرية حول الولي الصالح من غير المرئيين حيث تستفيد هذه الفئة من القداسة الرمزية للولي الحامي ولمثليه الأحياء ، وهذا لرفع الغبن بعد اليأس الذي عرفوه كونه يساعدهم على مواجهة الشدائد والصعاب

لقد تنامت القوة والنفوذ الاجتماعي للصلحاء والأولياء وحتى الشرفاء فانضاف اليها النفوذ السياسي إلى جانب الروحي ، وهذا ما ساعدهم على اقامة إمارات سياسية ، تمكنت من بسط نفوذها وإقامة حيزها الجغرافي وتكوين نواة مجتمعية .

لقد ظهرت هذه التركيبة الاجتماعية والتي سرعان ما ستتحول لنواة تجمعات سكانية، كنتيجة لتفكك القبائل الأصلية بفعل الصراعات والنزاعات داخل القبيلة الواحد في حد ذاتها وهو الأمر الذي أضعف الزعماء المحليين التقليديين وأعطى للشيخ المرابط وعائلته وأتباعه دور الوسيط والحكيم الذي تحابه الناس ولا تقوى على مخالفة أوامره ، حتى أنه أصبح وسيلة تستعين بها السلطة المركزية في بعض الأحيان لتنفيذ مشاريعها والأمثلة كثيرة عن سعي الأتراك في الجزائر للاستعانة بهذه الفئة .

شكلت أسماء بعض المدن في بايلك الشرق الجزائري في الفترة العثمانية بعدا إثنوغرافيا لمعتقدات بعض القبائل وبناء ثقافيا غذته العوامل الدينية والاجتماعية والسياسية .

إن الوقوف على هذه الظاهرة التي أشرنا إليها مازالت مجالا خصبا للبحث في الجزائر ، خصوصا إذا علمنا أن البحث في موضوع الأولياء والصلحاء والمرابطين كموروث شعبي يفتقر إلى التدوين وهذا ما يزيد صعوبة البحث فيه ، وهذا ما يستدعي ويحفز مراكز البحث في الأنثروبولوجيا على التنقيب عن الأخبار المتناثرة بين المراجع والمصادر وحتى التاريخ الشفوي كونه ، يعد من أهم المصادر الاخبارية في ظل قلة الكتابات في هذا المجال .

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله. (2007). تاريخ الجزائر الثقافي (الإصدار دار البصائر). الجزائر
2. اسعد فايزة زهوني وبلحزري بلوفة. (2018). تمثالات المرأة للفضاء المقدس، الأضرحة نموذجاً. مقارنة أنثروبولوجية على عينة من النساء بمدينة وهران، الحقيقة 17 (3)، الصفحات 506-507 .
3. بلبروات بن عتو. (2008). المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني. وهران، التاريخ وعلم الآثار ، الجزائر: جامعة وهران.
4. بومولة نبيل. (2013). صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني . الجزائر : دار هومة .
5. الحسين بن محمد الورتيلاني. (1908). تزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار . (محمد بن أبي شنب، المترجمون) الجزائر: بيير فونتانا الشرقية .
6. حمدان خوجة. (1982). المرأة. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
7. رشيدة شدرى، معمر. (2006). العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830). الجزائر: جامعة الجزائر
8. سراج جيلالي. (2015). زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية :ضريح سيدي يوسف الشريف نموذجاً. تلمسان، تلمسان الجزائر ..
9. شارل وليام. (1982). مذكرات شارل وليام قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824. (اسماعيل العربي، المترجمون) الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر.
10. صلاح مؤيد العقي. (2002). الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار البراق.
11. عبد الحليم عساسي ومروان سمير قدوح. (2019). خنقة سيدي ناجي أوتونس الصغيرة حاضرة علم وفن وجمال. جماليات ، 5 (1)، صفحة 121.
12. عبد الرحمان ابن خلدون. (1969). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (المجلد 6). بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر.
13. عبد الرحمان بوزيدة. (2003). الجزائري وأسطورته،النخيل الاجتماعي وآليات التماهي. الجزائر، الجزائر.
14. عبد الرزاق قشوان. (2018). الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري (1209-1204/1804-1871) دراسة مقارنة. أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، 286. قسنطينة، الجزائر: جامعة قسنطينة.
15. عبد القادر بلعربي. (2015). علاقة تسمية المدن الجزائرية بالأولياء. ملتقى الأنساب وتشكل الهوية الجزائرية في الفترة العثمانية 1500-1800 (صفحة 8). وهران: المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية.
16. عبد القادر خليفني. (د.س). الطريقة الشيعية. الجزائر: دار الأديب للنشر والتوزيع.
17. فاطمة الزهراء قشي. (01-06، 2003). معالم قسنطينة وأعلامها. انسانيات ، الصفحات 7-19، 18-20.

18. محمد، دحماني. (2006). حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف،. ماجستير في الأدب الشعبي، 16. الجزائر، الجزائر: جامعة الجزائر.
19. مكاس مليكة. (جويلية ديسمبر، 2015). قلعة بني عباس (امارة المقرانيين) 1500م/1600م دراسة تاريخية. عصور (26-27).
20. المهدي البوعبدلي. (11، 1977). عبد الكريم بن الفقون القسنطيني (988-1073) والتعريف بتأليفه منشور الهداية وكشف حال من ادعى العلم والولاية. (م ص، المحرر) الأصالة (51)، الصفحات 14-32.
21. نصر الدين، سعيدوني. (1981). الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي. دراسات تاريخية (5)، صفحة 59.
22. ياسين، بودريعة. (12، 2013). المعتقدات في كرامات الولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني. مجلة العلوم الانسانية (40)، صفحة 370.
23. Albert Dauzat Les noms de lieux: (Origine et évolution, Villes et villages, Pays, Cours d'eau, Montagnes), Lieux-dits, Bibliothèque des Chercheurs et des Curieux, Librairie Delagrave, 27eme Édition, 1963, p. 3.
24. Devoulx, A. (1870). les édifices religieux de l'ancien Alger. Typographie BAASTIDE
25. Douté, E. (1900). Notes sur l'islam magrébine. paris: Ernest Leroux.
26. Louis Rinn. (1891). Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie. Alger: Librairie A. JOURDAN.
27. Mercier, -G. (1915). khanguet Sidi Nadji- quelque inscriptions arabes indites In Notices et Mémoires de la société ARCHÉOLOGIQUE DU Département de constantine (Vol. 49). constantine.
28. Charles Feraud. (2011). Histoire des Villes de la province constantine, T.3 ?Setif- Bordj bou areridj-Mesila-Bousaada). L'Harmattan Réédité et présenté par Larbi Rabdi.
29. Saidouni Nacer-Eddine. (2001). L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830). (Beyrouth: Der ELgherb-El-Islami.